في جميع ما اخذه وارسل للسلطان يوسف جميع ما حصله وكتب له يعرفه ان الجيوش بالثغور مقيمة على مكابدة العدو
وملازمة الحرب والقتال في اضيق العيش وانكره وملوك الاندلس في بلادهم واهليهم في ارغد العيش واطيبه وسأله
مرسومه فكتب اليه ان يامرهم بالنقلة والرحيل الى ارض العدوة فمن فعل فذاك ومن ابى فحاصره وقاتله ولا ينفس عليه
ولتبدأ بمن والى الثغور ولا تتعرض للمعتمد بن عباد الا بعد استيلائك على البلاد وكل بلد اخذته فول فيه اميرا من عساكرك
فاول من ابتدأ به من ملوك الاندلس بنو هود وكانوا بروطة بضم الراء المهملة وبعدها واو ساكنة وطاء مهملة مفتوحة
وبعدها هاء ساكنة وهي قلعة منيعة من عاصمات الذرى وما يهابه من اعلاها وفيها من الاقوات والذخائر
المختلفات ما لا يفنيه الا زمان فحاصرها فلم يقدر عليها ورحل عنها وجند اجنادا على هيئة الفرنج وزيهم وامرهم ان
يقصدوها ويغيروا عليها وكمن هو واصحابه بقرب منها فلما راهم اهل القلعة استضعفوهم فنزلوا اليهم ومعهم صاحب
القلعة فخرج عليهم سرى المذكور وقبضه باليد وتسلم الحصن ثم نازل بني طاهر الاندلس فاسلموا له البلاد والحقوا
بيرا العدوة ثم نازل بني صمادح بالمرية ولها قلعة حصينة فحاصرهم وضيق بهم ولما علم ابن صمادح الغلب اسف ومات
غبنا فاخذ القلعة واستولى على المرية وجميع اعمالها ثم قصد بطليوس وكان بها المتوكل عمر بن محمد بن الافطس المتقدم ذكره فحاصره
واخذه واستولى على جميع اعماله وماله ولم يبق له الا المعتمد بن عباد فكتب للسلطان يوسف يعرفه بما فعل ويسأله مرسومه في
ابن عباد فكتب اليه يامره ان يعرض عليه النقلة لبر العدوة بجميع الاهل والعشير فان رضي والا فحاصره وخذه وارسل
به كسائر اصحابه فواجهه وعرفه بما رسم به السلطان يوسف وسأله الجواب ولم يجب بنفي ولا اثبات ثم انه نازل
اشبيلية وحاصره بها والح عليه فاقام الحصار شهرا ودخل البلاد قهرا واستخرجه من قصره فحمل وجميع اهله وولده الى
العدوة فانزل باغمات واقام الى ان مات رحمه الله تعالى وعفى عنه واما ابن الاثير فمع كلامه تقديم وتاخير
وبعض خلاف لما مر واخبار المعتمد بن عباد وما رآه من الملك والعز على كل حاضر بالاندلس وباد وما ناداه في الامر
من الضيق والعسر وسوء العيش امر عجيب ينقط به العاقل الاريب واما ما مدحته به الشعراء واجوبته لهم
في حالي يسره وعسره وملكه واسره وطيبه ونشره وتجهمه وبشره فهو كثير وفي كتب التواريخ منه فيظلم
ونثير وقد قدمنا في هذا الكتاب ما يبعث الاعتياد ويثير وخصوصا في الباب السابع من هذا التاليف
الذي هو عند المصنف اثير وفي المعتمد وابنه المعتضد يقول بعض الشعراء من بني المنذر وذاك انتساب
زادني فخرهم بنو عباد فتية لم تلد سواها المعالي والمعالي قليلة الاولاد
وقال ابن القطاع في كتاب لمح الملح في حق المعتمد انه اذ ذاك ملوك الاندلس راحه وارحبهم ساحه وانعظمهم
تمادا وارفعهم عمادا ولذلك كانت حضرته ملتقى الرجال وموسم الشعراء وقبلة الآمال وما لف الفضلاء حتى
انه لم يجتمع بباب احد من الملوك من اعيان الشعراء وافاضل الادباء ما كان يجتمع ببابه وتشتمل عليه حاشيتا جنابه
وقال ابن بسام في الذخيرة للمعتمد شعر كما انشق الكمام عن الزهر لو صار مثله من جمل الشعر صناعه واتخذه بضاعه
لكان رائقا معجبا ونادرا مستغربا اكثرت هجرك غير انك ربما عطفتك احيانا على امور
فكانما زمن التهاجر بيننا ليل وساعات الوصال بدور قال وهذا المعنى ينظر الى قول
بعضهم من ابيات اسفر ضوء الصبح عن وجهه فقام ذاك الخال فيه بلال
كانما الخال على خده ساعات هجر في زمان الوصال وعزم على ارسال حظاياه من
قرطبة الى اشبيلية فخرج معهن يشيعهن فسايرهن من اول الليل الى الصبح فودعهن ورجع وانشد ابياتا منها
سايرتهم والليل عقد ثوبه حتى تبدا للنواظر معلما فوقفت ثم مودعا وتسلمن
مني يد الاصباح تلك الانجما وهذا المعنى في غاية الحسن ثم ذكر من كلامه جملة عود وانعطاف ولما
جاء امير المسلمين يوسف بن تاشفين الى ناحية غرناطة بعد ما حاصر بعض حصون الفرنج فلم يقدر عليه خرج اليه
صاحب غرناطة عبد الله بن بلكين فسلم عليه ثم عاد الى بلده ليخرج له التقادم فغدر به ودخل البلد واخرج عبد الله
ودخل قصره فوجد فيه من الذخاير والاموال ما لا يحد ولا يحصى ثم رجع الى مراكش وقد اعجبه حسن بلاد الاندلس
وبهجتها وما بها من المباني والبساتين والمطاعم وساير الاصناف التي لا توجد في بلاد العدوة اذ هي بلاد سرير
واجلاف عربان فجعل خواص يوسف يعظمون عنده بلاد الاندلس ويحسنون له اخذها ويوغرون قلبه على المعتمد
باشياء فقلوا عنه فتغير على المعتمد وقصد مشارفة الاندلس وحكى ابن خلدون ان علماء الاندلس اتوا ابن
تاشفين بجواز خلع المعتمد وغيره من ملوك الطوايف وبقتالهم ان امتنعوا فجهز يوسف العساكر الى الاندلس
وحاصر سير بن ابي بكر احد عظماء دولة يوسف اشبيلية وبها المعتمد فكان من دفاعه وشدة ثباته ما هو معلوم
ثم اخذ اسيرا وصار طرف الملك بعده حسيرا وفي وصف ذلك يقول صاحب القلايد بعد كلام ثم جمع هواه
وحملتهم الجواري المنشآت وضمتهم كانهم اموات بعد ما ضاق عنهم القصر وراق منهم النصر والناس قد حشدوا
بضفتي الوادي يبكون بدموع كالفوادي فصاروا والنوح يحدوهم والبوح باللوعة لا يعدوهم انتهى ولما
فرغ امير المسلمين يوسف بن تاشفين من امر غزوة الزلاقة المتقدم ذكرها ورجع تكرم له ابن عباد وسأله
ان ينزل عنده فخرج الى بلاده اذ اجابه الى ما طلب فلما انتهى ابن تاشفين الى اشبيلية مدينة المعتمد وهي من
احسن المدن واجلها منظرا وامعن يوسف النظر فيها وفي محلها وهي على نهر عظيم مستجر تجري فيه السفن
جالبة من بر المغرب وحاملة اليه وفي غربيها رستاق عظيم مسيرة عشرين فرسخا يشتمل على الاف من الضياع كلها
تين وعنب وزيتون وهذا هو المسمى بشرف اشبيلية وتمتاز بلاد المغرب كلها بهذه الاصناف منه وفي جانب المدينة
قصور المعتمد وابيه المعتضد في غاية الحسن والبهاء وفيها انواع ما يحتاج اليه من المطعوم والمشروب والملبوس
والمفروش وغير ذلك فانزل المعتمد يوسف بن تاشفين في احدها وتولى من اكرامه وخدمته ما اوسع شكر ابن

تاشفين

تاشفين له وكان مع ابن تاشفين اصحاب له ينبهونه على حسن تلك الحال وتاملها وما هي عليه من النعمة والاتراف ويغرونه
باتخاذ مثلها ويقولون له ان فايدة الملك قطع العيش فيه بالتنعم واللذة كما هو المعتمد واصحابه وكان ابن تاشفين داهية
عاقلا مقصدا في اموره غير متطاول ولا مبذر وغير سالك نهج الترف والتانق في اللذة والنعيم اذ ذهب صدر عمره في
بلاده بالصحراء في شظف العيش فانكر على من اغراه بذلك الاسراف وقال الذي يلوح لي من امر هذا الرجل يعني المعتمد
انه مضيع لما في يده من الملك لان هذه الاحوال الكثيرة التي تتصرف في هذه الاحوال لا بد ان يكون لها ارباب لا يمكن
اخذ هذا القدر منهم على وجه العدل ابدا فاخذه بالظلم واخراجه في هذه الترهات من الحق استهتار ومن كانت
همته في هذا الحد من التصرف فيما لا يعدو والاجوبين متى يستجد همته في ضبط بلاده وحفظها وصون رعيته
والتوفير لمصالحها ولعمري لقد صدق في كل ذلك ثم ان يوسف بن تاشفين سال عن احوال المعتمد في لذاته
هل يختلف فتنقص مما هي عليه في بعض الاوقات فقيل له بل كل زمانه على هذا فقال اقتل انصاره واصحابه على
عدوه ومنجديه على الملك ينال حظا من ذلك قالوا لا قال فكيف ترون رضاهم عنه فقال لا رضى لهم عنه فاطرق وسكت
واقام عند المعتمد على تلك الحال اياما وفي اثنائها استاذن رجل على المعتمد فدخل وهو ذو هيئة رثة وكان من
اهل البصائر فلما مثل بين يديه قال اصلحك الله ايها السلطان وان من اوجب الواجبات شكر النعمة وان من
شكر النعمة اهدا النصائح واني رجل من رعيتك حالي في دولتك الى الاحتلال اقرب منها الى الاعتدال ولكنني مع
ذلك مستوجب لك من النصيحة ما للملك على رعيته فمن ذلك خبر وقع في اذني من اصحاب ضيفك هذا يوسف
ابن تاشفين يدل على انهم يرون انفسهم وملكهم احق بهذه النعمة منك وقد رايت رايا فان اشرت الاصغاء اليه
قلت فقال المعتمد له قله فقال رايت ان هذا الرجل الذي اطلعته على ملكك مستاسد على الملوك قد حطم على
رماته بيرا العدوة واخذ الملك من ايديهم ولم يبق على واحد منهم ولا يومن ان يطمح الى الطمع في ملكك بل في مسلك
جزيرة الاندلس كلها فاعد عاينه من هناة عيشك واني لمتخيل في مثل ذلك لساير ملوك الاندلس وان له
من الولد والاقارب وغيرهم من يود له الحلول بما انت فيه من تعصب الجناب وقد اروى الاذفونش وجيشه واستاصل
شاتهم واعدمك منه اقوى ناصر عليه لو احتجت اليه فقد كان ذلك منه اقوى عضد واقوى مجن وبعد فانه فان فات
الامر في الاذفونش فلا يفتك الحزم فيما هو ممكن اليوم فقال له المعتمد وما هو الحزم اليوم فقال ان تجمع امرك على قبض ضيفك
هذا واعتقاله في قصرك وتحزم انك لا تطلقه حتى يامر كل من بجزيرة الاندلس من عسكره ان يرجع من حيث جاء حتى
لا يبقى منهم احد بالجزيرة طفل فمن فوقه ثم تنفق انت وملوك الاندلس الجزيرة على حراسة هذا البحر من سفينة
تجري فيه له بعد ذلك تستحلفه باغلظ الايمان ان لا يضمر في نفسه عودا الى هذه الجزيرة الا باتفاق منكم ومنه
فاخذ منه على ذلك رهاين فانه يعطيك من ذلك ما تشاء فنفسه اعز عليه من جميع ما يلتمس منه فعند ذلك
يمتنع هذا الرجل ببلاده التي لا تصلح الا له وتكون قد استرحت منه بعد ما استرحت من الاذفونش وتقيم في
موضعك على خير حال ويرتفع ذكرك عند ملوك الجزيرة ويتسع ملكك وينسب هذا الاتفاق لك الى
سعادة وحزم وتهابك الملوك ثم اعمل بعد هذا ما يقتضيه حزمك في مجاورة من عاملته هذه المعاملة واعلم
انه قد تهيا لك من هذا امر سماوي تتفانى الامم وتجري بحار الدم دون حصول مسئلة فلما سمع المعتمد كلام
الرجل استصوبه وجعل يفكر في انتهاز الفرصة وكان للمعتمد ندماء قد انهمكوا معه في اللذات فقال احدهم
لهذا الرجل الناصح ما كان المعتمد على الله وهو امام اهل المكرمات ممن يعامل بالحيف ويغدر بالضيف فقال
الرجل انما الغدر اخذ الحق من يد صاحبه لا دفع الرجل المحذور عن نفسه اذا ضاق به فقال ذلك الندم ضيم مع
وفاء خير من حزم مع جفاء ثم ان ذلك الناصح استدرك الامر وتلافاه فشكر له المعتمد ووصله بصلة واتصل
هذا الخبر بيوسف فاصبح غاليا فقدم له المعتمد الهدايا السنية والتحف الفاخرة فقبلها ثم رحل انتهى خبر وقعة
الزلاقة وما يتبعه ملخصا من كتب التواريخ ولما انقرض بالاندلس ملك الطوايف بني عباد وبني ذي النون وبني
الافطس وبني صمادح وغيرهم انتظمت في ملك اللمتونيين وكانت لهم وقعات بالاعداء مشهورة في كتب التواريخ
ولما مات يوسف بن تاشفين سنة خمسماية قام بالملك بعده ابنه امير المسلمين علي بن يوسف وسلك
سنن ابيه وان قصر عنه في بعض الامور ودفع العدو عن الاندلس مدة الى ان قبض الله للثورة عليه محمد بن تومرت
الملقب بالمهدي الذي اسس دولة الموحدين فلم يزل يسعى في هدم بنيان لمتونة حتى مات ولم يملك حضرة سلطانهم
مراكش ولكنه ملك كثيرا من البلاد فاستخلف عبد المومن بن علي فكان من استيلائه على مملكة اللمتونيين ما هو معروف
ثم جاز الى الاندلس وملك كثيرا منها ثم اخرج الافرنج من مهدية افريقية وملك بلاد افريقية وضخم ملكه
وتسمى بامير المسلمين ولما كانت سنة خمسماية وخمس واربعين سار الاذفونش صاحب طليطلة وبلاد
الجلالقة الى قرطبة ومعه اربعون الف فارس فحاصرها وكان اهلها في غلاء شديد فبلغ عبد المومن الخبر فجهز اليهم
جيشا يحتوي على اثني عشر الف فارس فلما اشرفوا على الاذفونش رحل عنها وكان فيها القايد ابو الغمر السايب فسلمها
الى صاحب جيش عبد المومن بن يحيى بن ميمون فبات فيها فلما اصبح راى الافرنج عادوا الى مكانهم ونزلوا في المكان الذي
كانوا فيه فلما عاين ذلك [illegible] هنالك ناسا وعاد الى عبد المومن ثم رحل للفرنج الى ديارهم وفي السنة بعدها دخل
جيش عبد المومن الى الاندلس عشرين الفا عليهم الهنتاتي فصار اليه صاحب غرناطة ميمون وابن عمنك وغيرهما
فدخلوا تحت طاعة الموحدين وعرضوا على قصد ابن مردنيش ملك شرق الاندلس وبلغ ذلك ابن مردنيش فخاف
ارسل الى صاحب برشلونة من الافرنج يستنجده فتجهز اليه في عشرة الاف من الافرنج عليهم فارس وسار صاحب
جيش عبد المومن الى ان قارب ابن مردنيش فبلغه امر البرشلونة الافرنجي فرجع ونازل مدينة المرية وهي بايدي
الروم فحاصرها فاشتد الغلاء في عسكره فرجع الى اشبيلية فاقام فيها وسار عبد المومن الى سبتة فجهز الاساطيل وجمع

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)